البيان

لرسالة «نواة الإيمان»

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م

تم الصف والإخراج

بمركز عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

للإستشارات والدراسات التربوية والتعليمية

مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٥٠)

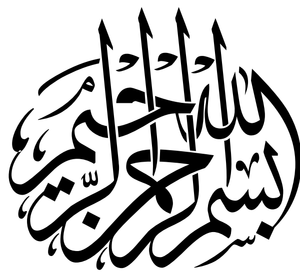
البيان
لرسالة «نواة الإيمان»

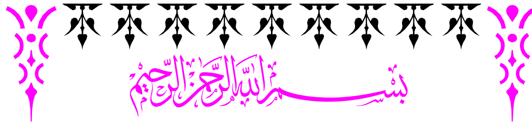
للإمام العلامة

عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ

تأليف

عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي





المقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرًا، أما بعد:

فنحمد الله ﷻ علىٰ توفيقه وإحسانه وإنعامه وإفضاله.

في «الصحيحين»[(١)] عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: «وكلُّ من أراد الله به خيرًا لا بُدَّ أن يُفَقِّهَهُ في الدين، فمن لم يُفَقِّهْهُ في الدين لم يُرِدِ الله به خيرًا»[(٢)].

وهذا حديث عظيم، **وفيه**: أن مَنْ توجَّه لطلب العلم وحرص عليه وحضر مجالسه فهو علىٰ خير عظيم.

وكلمة «**الدِّينِ**» تشمل الأقوال والأفعال والاعتقادات،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»، رقم (٧١)، ومسلم، كتاب الزكاة، رقم (١٠٣٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٨٠).

فالفقه في دين الله هو الفقه في أسمائه وصفاته وشريعته، وهذا هو الدين، وهو العلم النافع.

والعلم الذي وردت النصوص في فضله ثلاثة أنواع :

الأول: العلم بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله، فشرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم هو الرَّبُّ ﷻ.

الثاني: العلم بدينه وبشرعه، بالأوامر والنواهي التي يعبد الإنسان ربَّهُ بها.

الثالث: العلم بالجزاء، بجزاء الموحِّدين الذين وحَّدوا الله وأخلصوا له العبادة وآمنوا بالله ورسوله ﷺ، وبجزاء المخالفين الذين أشركوا بالله وعصوا الله ورسوله ﷺ.

فهو إمَّا علم بأسماء الله وصفاته وأفعاله، وإمَّا علم بدينه وشرعه مِنْ الحرام والحلال، وإمَّا علم بالجزاء جزاءِ المؤمنين وجزاء المخالفين.

وهذه الأقسام الثلاثة ليس لها رابع، كما **قال العلَّامة ابن القيم** رحمه الله[(١)]:

والعلم أقسام ثلاث ما لها ... من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالفرقان

(١) «نونية ابن القيم» (ص ٢٦٦).

هذه أقسام العلم الثلاثة، وما عداه مِنْ علوم أخرى ـ هي فرض الكفاية كعلم الطب، والصيدلة، والهندسة، والفلك، والرياضة، والنجارة، والحدادة، والكهرباء ـ يؤجر الإنسان عليها إذا حَسُنَتْ نيته وقصد بها نفع المسلمين وأن يفيد غيره، وإن أراد بها الدنيا فله ذلك.

بخلاف العلم الشرعي فإنه لا يجوز للإنسان أن يريد به الدنيا؛ لأنه مِنَ الدين ومِنْ علوم الآخرة، وإذا أراد الدنيا بعمل الآخرة فله الوعيد الشديد، قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [هُود: ١٥-١٦]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا**[١] **لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» يَعْنِي: رِيحَهَا[٢].

ومِنْ العلم بدينه وبشرعه الذي أمر الله به: توحيد الرَّبِّ في ألوهيته وعبادته، وهو الغاية التي مِنْ أجلها خلق الله

(١) العرض: متاع الدنيا وما فيها. «جامع الأصول» لابن الأثير (٤/ ٥٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب «في طلب العلم لغير الله تعالىٰ»، رقم (٣٦٦٤)، وابن ماجه، المقدمة، باب «الانتفاع بالعلم والعمل به»، رقم (٢٥٢)، وأحمد (٢/ ٣٣٨). **قال الحاكم**: «هذا حديث صحيح، سنده ثقات، رواته علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ١٦٠) **وقال النووي**: «رواه أبو داود بإسناد صحيح». «التبيان في آداب حملة القرآن» (ص ١٩).

الخلق، فالعبادة بالتوحيد والطاعة هي الغاية المحبوبة المرضية له سبحانه.

وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وسيلة إلىٰ عبادة الألوهية، فمن عرف ربَّهُ بربوبيته وبأسمائه وصفاته عَبَدَهُ.

وهذا شرح لرسالة «نواة الإيمان»(١) للإمام عبد اللطيف ابن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، **فالشيخ** حفيد **للإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب** ﷺ المعروف بتحقيقه.

وهي في توحيد العبادة والألوهية، وهي رسالة علىٰ صغر حجمها قيِّمة مفيدة نافعة مختصرة جامعة لمعاني هذا الباب، وهي جديرة بأن تكتب بماء الذهب؛ لما تحتويه من العلم النافع والحث علىٰ العمل، ولما فيها من الاستدلال بنصوص الوحيين، ولما فيها من الترتيب وحسن السبك وبراعة الاستهلال وحسن الختام، حيث ختمها بالحث علىٰ العلم والعمل لا مجرد القراءة.

وصلى الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

كتبه

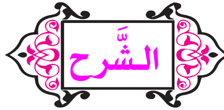
عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

---

(١) تم إثبات نسخة المتن التي خرجت بتصحيح وتعليق **محمد حامد الفقي**، الناشر دار الثقافة للطباعة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«اعلم ـ رحمك الله ـ أن الله تعالىٰ خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته ومحبته، والخضوع له وتعظيمه، والإنابة إليه، والتَّوكُّل عليه، وإسلام الوجه له، وهذا هو الإيمان المطلق المأمور به في جميع الكتب السماوية وسائر الرسالات النبوية».



❍ قوله: «**اعلم**» أمر مِنْ العلم.

والعلم هو حكم الذهن الجازم، أي: اعلم واجزم وتيقن؛ لأن المدركات أنواع، وهي: العلم، والظَّنُّ، والشَّكُّ، والوهم.

فما تيقنه الإنسان يُسمَّى «**علم**»، وإذا شكَّ فيه فإن كان الشَّكُّ غير متساوي وأحد الطرفين أرجح من الآخر فالراجح يُسمَّى «**ظن**» والمرجوح يُسمَّى «**وهم**»، وإن كان كلٌّ مِنْ الأمرين علىٰ حدٍّ سواءٍ يُسمَّى «**شك**»[(١)].

❍ قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**اعلم**» يعني: اجزم وتيقن، واحذر الشَّكَّ

(١) انظر: «إرشاد الفحول» للشوكاني (ص ٢٠، ٢١).

والظَّنّ والوهم في هذا الأمر.

❍ قوله: «ـ رحمك الله ـ» جملة خبرية، المقصود منها الدعاء، والمعنى: يرحمك الله.

وهذا مِنْ نفع **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ، فهو يُعلِّمك ويدعو لك، والعلماء أنفع الناس إلىٰ الناس.

❍ قوله: «أن الله تعالىٰ خلق الخلق لعبادته» فمَنْ شكَّ أو ظنَّ أو توهم ولم يجزم بأن الله تعالىٰ خلق الخلق لعبادته وقامت عليه الحجة فهو كافر؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإذا كان جاهلًا ولم يعرف فتقرأ عليه هذه الآية.

❍ قوله: «الجامعة لمعرفته ومحبته، والخضوع له وتعظيمه، والإنابة إليه» أي: الرجوع إليه «والتَّوكُّل عليه» يعني: الاعتماد وتفويض الأمر إليه «وإسلام الوجه له» أي: إخلاص العمل لله، وهذه الأمور كلها مجتمعة هي العبادة.

والعبادة جامعة لمعرفة الله، والمعرفة تكون بأسمائه وصفاته وأفعاله ومحبته، بأن تعرف أنه الخالق الرازق المدبِّر المحيي المميت المسبب للأسباب وأن له الأسماء الحسنى التي سَمَّى بها نفسه، والصفات العلىٰ التي وصف بها نفسه، فتعلم أنه سميع بصير عليم قدير غفور ودود، وهكذا.

وهذه الأسماء ليست جامدة بل مشتقة، فكلُّ اسم مشتمل علىٰ صفة، اسم «الله» يشمل علىٰ صفة الألوهية، فاسم

«**الرحمن**» يشتمل علىٰ صفة الرحمة، واسم «**العليم**» يشمل علىٰ صفة العلم، واسم «**القدير**» يشمل علىٰ صفة القدرة، واسم «**الحليم**» يشمل علىٰ صفة الحلم، وهكذا.

والعبادة لها ركنان: غاية المحبة مع غاية الذُّلِّ والخضوع، وعلىٰ هذين الأمرين يدور قطب رحها، وفلك العبادة يدور عليهما.

والذي يدير فلك العبادة هو أمر الله وأمر رسوله ﷺ، ولا يجيزها هوى النفوس والشيطان كما قال **العلَّامة ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ[1]:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتىٰ قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشيطان

ومن جهة أخرى فأركان العبادة ثلاثة: المحبة، والخوف، والرجاء، لا بُدَّ للمسلم أن يعبد الله بالحبِّ والخوف والرجاء، فمن عَبَدَ الله بواحدة من هذه الأمور دون الأخرى فإنه لم يعبد الله، ولهذا **قال بعض السلف**: «مَنْ عبد الله بالحبِّ وحده فهو **زنديق**، ومَنْ عبده بالخوف وحده فهو **حروري**، ومَنْ عبده بالرجاء وحده فهو **مرجئ**، ومَنْ عبده بالحبِّ والخوف والرجاء فهو **مؤمن**»[2]، فيخضع المؤمن لله

(١) «نونية ابن القيم» (ص ٣٥).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٢١).

ولا يستكبر؛ لأن الكافر استكبر عن عبادة الله.

ويزعم **الصوفية** أنهم يعبدون الله بالحبِّ وحده وأنهم لا يخافونه ولا يرجونه، ويقول أحدهم: «إني أعبد الله حبًّا لذاته وشوقًا إليه ولا أعبده خوفًا ولا رجاءً»؛ لأنه بزعمهم الذي يعبد الله بالخوف والرجاء هذا إنسان نفعي يريد أن ينفع نفسه.

والردُّ عليهم:

أن الأنبياء وهم أعظم الناس عبادةً لله كانوا يعبدونه بالخوف والرجاء، قال تعالىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣-٩٠]، و﴿رَغَبًا﴾ هذا هو الرجاء، ﴿وَرَهَبًا ۖ﴾ هذا هو الخوف، فكيف يقول **الصوفي** بعد ذلك «أنا لا أعبده خوفًا ورجاءً؟!».

وقال ﷻ في وصف المتقين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ

ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السَّجدَة: ١٦].

وقال ﷻ عن المؤمنين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسرَاء: ٥٧] وقال عن الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النّحل: ٥٠].

❍ قوله: «**وهذا**» أي: المحبة والمعرفة، بترتب عليها أن تخضع وتذلَّ له، وتؤدِّي له الأوامر وتجتنب النواهي، وتتوكل عليه، وتخلص له «**هو الإيمان المطلق**».

والإيمان المطلق **لأهل السنة والجماعة** يشمل عقيدة القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح[(١)].

وفرق بين الإيمان المطلق ومطلق الإيمان:

«الإيمان المطلق» أي: الإيمان الكامل، ويشمل امتثال الأوامر واجتناب النواهي مع تصديق القلب واعتقاده وإقرار اللسان.

والمراد بـ «**مطلق الإيمان**» أصل الإيمان.

ومطلق الإيمان هو الذي يطلق علىٰ العاصي الذي فرّط وترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرَّمات فيثبت له الإسلام

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٣٠).

فيُقال «هو مسلم»، ولا يقال «مؤمن» بإطلاق، بل لا بُدَّ من التقييد، فنقول عن العاصي: «مؤمن ناقص الإيمان» أو «مؤمن ضعيف الإيمان» أو «مؤمن بإيمانه وفاسق بكبيرته»، فلا يُعطى الاسم المطلق ولا يُسلب مطلق الاسم(١).

إنما يُعطى الإيمان المطلق ويقال عنه: «إنه مؤمن» من أدَّى الواجبات وترك المحرَّمات كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤] هؤلاء هم المؤمنون، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجرَات: ١٥]، وفي «الصحيحين»(٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ الْقَوْمُ أَوْ مَنْ الْوَفْدُ؟**»، قَالُوا: «رَبِيعَةُ»، قَالَ: «**مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى**»، فَقَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلْ بِهِ الْجَنَّةَ»،

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب «أداء الخمس من الإيمان»، رقم (٥٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٧).

وَسَأَلُوهُ عَنْ الْأَشْرِبَةِ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟**»، قَالُوا: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنْ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ...**»، وكلُّ هذا داخل في الإيمان المطلق، وفي «صحيح مسلم»[(١)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً -، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ**»، وهذا هو الإيمان المطلق.

❍ قوله: «**المأمور به في جميع الكتب السماوية وسائر الرسالات النبوية**» أمر الله تعالىٰ عباده بالإيمان المطلق، فأمرهم بأن يعتقدوا ويُقِرُّوا، ويعملوا بجوارحهم، ويؤدُّوا جميع الواجبات، وينتهوا عن المحرَّمات، أمرهم بذلك في جميع الكتب السماوية التي أنزلها كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وكذا في سائر الرِّسالات النبوية.

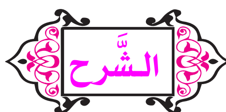


(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٣٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ويدخل في باب معرفة الله: توحيد الأسماء والصفات فيوصف الله سبحانه بما وصف به نفسه مِنْ صفات الكمال ونعوت الجلال وبما وصفه به رسوله ﷺ، ولا يتجاوز العبدُ ذلك.

ولا يوصف الله إلَّا بما ثبت في الكتاب والسنة».



❍ قوله: «ويدخل في باب معرفة الله: توحيد الأسماء والصفات» كما تقدَّم «فيوصف الله سبحانه بما وصف به نفسه مِنْ صفات الكمال» فالصفات التي وصف بها الله نفسه في كتابه أو علىٰ لسان رسوله ﷺ كلها صفات كمال ليس فيها نقص؛ لأن الله كامل في ذاته وفي أسمائه وصفاته وأفعاله.

ومن صفات الكمال: قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشّورىٰ: ١١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [التّحْريم: ٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [المُلك: ٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤﴾ [البُرُوج: ١٤].

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ

إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المُمتحنَة: ١٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التّوبَة: ٤٦].

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعرَاف: ٥٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، هذه كلها صفات، وهذه الأسماء والصفات كلها داخلة في معرفة الله.

❍ قوله: «**ونعوت**» جمع نعت وهو الوصف أي الصفة «**الجلال**»، فكُلُّها صفات كمال وجلال تدلُّ علىٰ عظمة الله ﷻ.

❍ قوله: «**وبما وصفه به رسوله ﷺ**» فقد وصف الرسول ﷺ ربَّهُ.

كما روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[(١)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟، مَنْ**

(١) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب «الدعاء في الصلاة من آخر الليل»، رقم (١١٤٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٥٨).

يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»»، فأثبت ﷺ صفة النزول لله تعالىٰ كما يليق بجلاله وعظمته.

وفي «الصحيحين»[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»، كلُّ هذه مِنْ صفات الله التي تليق به، **وفيه**: إثبات القرب لله تعالىٰ.

❍ قوله: «**ولا يتجاوز العبدُ ذلك**» أي: لا يزيد علىٰ ذلك؛ فليس للعبد أن يتجاوز الكتاب والسنة فيخترع لله أسماء وصفات مِنْ عند نفسه.

❍ قوله: «**ولا يوصف الله إلَّا بما ثبت في الكتاب والسنة**» فيوصف الله تعالىٰ بالصفات التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ مما ثبت عنه، ولا يوصف بشيء خارج عن الكتاب والسنة؛ لأن العباد لا يخترعون لله تعالىٰ الأسماء أو الصفات مِنْ عند أنفسهم.



(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب «قول الله تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: ٢٨]، رقم (٧٤٠٥)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٦٧٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وجميع ما في الكتاب والسنة يجب الإيمان به مِنْ غير تحريف ولا تعطيل، ومِنْ غير تكييف ولا تمثيل».



❍ قوله: «**وجميع ما في الكتاب والسنة**» أي: جميع ما في الكتاب والسنة مِنْ الأسماء والصفات «**يجب الإيمان به مِنْ غير تحريف**» أي: مِنْ غير تحريف للفظ أو للمعنى.

فالتحريف اللفظي مثل ما يقول **بعض الجهمية** في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾ [النِّسَاء: ١٦٤] «وكلمَ اللهَ موسى تكليمًا»؛ ليجعلوا **موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ وهو المكلَّمُ ـ المتكلِّمَ؛ لأنهم أنكروا كلام الله فجعلوه أبكمًا ـ والعياذ بالله ـ.

والتحريف للمعنى مثل تحريف **بعض الجهمية** لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعرَاف: ١٤٣] قالوا: جرحه بأظافر الحكمة، مأخوذ بزعمهم من (الكلم) بسكون اللام وهو الجرح.

❍ قوله: «**ولا تعطيل**» يعني: تعطيل النصِّ عن الصفة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعرَاف: ٥٤] فمن

أنكر الاستواء ونفاه يكون قد عطَّلَ النصَّ.

❍ قوله: «**ومِنْ غير تكييف**» كأن يقول: «كيفية نزول الله كذا وكذا»، «كيفية غضبه كذا وكذا».

❍ قوله: «**ولا تمثيل**» كأن يقول: «نزول الله مثل نزول المخلوق»، و«ضحك الله مثل ضحك المخلوق». قال نعيم بن حماد رحمه الله: من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفه ولا رسوله تشبيه».

قال ابن القيم:

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا   إن المشبه عابد الأوثان

وقال:

من شبه الله العظيم بخلقه   فهو النسيب بمشرك نصراني

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨] فأسماؤه كلها حسنى؛ لأنها تدل علىٰ الكمال المطلق والجلال المطلق والصفات الجميلة.

فنثبت ما أثبته الرَّبُّ لنفسه وما أثبته له رسوله ولا نعطِّله، ولا نلحد في أسمائه ولا آياته، ولا نشبِّه صفات الخالق بصفات المخلوق؛ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: ١-٤]، ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [طه: ١١٠].

فإن تعطيل الصفات عما دلَّتْ عليه كفر، والتشبيه فيها كذلك كفر، وقد سأل رجل مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ عن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: ٥]، فاشتد ذلك علىٰ مالك حتىٰ علته الرحضاء إجلالًا لله وهيبة له مِنْ الخوض في ذلك، ثم قال: «الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، يريد رَحِمَهُ اللَّهُ السؤال عن الكيف.

وهذا الجواب يقال في جميع الصفات؛ لأنه يجمع الإثبات والتنزيه».



○ قوله: «قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨] فأسماؤه كلها حسنى؛ لأنها تدل علىٰ الكمال المطلق والجلال المطلق» فهي تدلُّ علىٰ الكمال مِنْ جميع الوجوه «والصفات الجميلة».

«فنثبت ما أثبته الرَّبُّ لنفسه» يعني: من الأسماء والصفات «وما أثبته له رسوله»، وهذا هو الواجب، فنثبت ما أثبته الله لنفسه في كتابه وما أثبته له رسوله ﷺ في سنته.

مثلًا في الكتاب: صفة العلم، والسمع، والبصر، والإرادة، والقدرة، وفي السنة: صفة النزول(١)، والعجب(٢)، والإتيان والهرولة(٣) كما يليق بجلاله وعظمته.

○ قوله: «ولا نعطِّله» التعطيل هو الخلو والفراغ، من قولهم «الدار مُعطَّلة» إذا خلت عن سُكَّانِها، و«الإبل مُعطَّلة» إذا

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب «قول الله ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ [الحشر: ٩]»، رقم (٣٧٩٨)، ومسلم، كتاب الأشربة، رقم (٢٠٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تقدَّم تخريجه.

لم يكن لها راعي، وقولهم للمرأة التي ليس في يدها حُلي «مُعطَّلة»[(١)].

والمعطِّل هو الذي أخلى النصوص من المعاني والصفات، فقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] نصٌّ في إثبات الاستواء لله تعالىٰ، فالذي ينكر الاستواء عطَّل؛ لأنه أخلى النصَّ من المعنى والوصف الذي دلَّ عليه.

يقول **المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«ولا نعطِّله»** فلا نُفْرِغُ المعنى من النصِّ الذي فيه كما يفعل **المعطِّلة**.

❍ قوله: **«ولا نلحد في أسمائه ولا آياته»** أصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء[(٢)]، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والإلحاد في أسمائه: هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحقِّ الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل كما يدل عليه مادته - ل ح د -، ومنه: اللَّحد وهو الشِّقُّ في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه: الملحد في الدين المائل عن الحقِّ إلىٰ الباطل»[(٣)].

واللحد في أسماء الله وصفاته أنواع، **منه**: تأويل

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١١/ ٤٥٣، ٤٥٤).
(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٤/ ٢٣٦).
(٣) «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٩).

الأسماء والصفات تأويلًا فاسدًا، **وأعظم الإلحاد**: الجحود والإنكار لأسماء الله وصفاته.

❍ قوله: «ولا نشبِّه صفات الخالق بصفات المخلوق»

وهو من الإلحاد في أسماء الله وصفاته.

قال تعالىٰ: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشّورىٰ: ١١]» وفيها ردٌّ علىٰ **الممثِّلة والمعطِّلة**، فقوله تعالىٰ ردٌّ علىٰ **الممثِّلة**، وقوله تعالىٰ ردٌّ علىٰ **المعطِّلة**[(١)].

قال تعالىٰ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤]» وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؛ كما في «صحيح مسلم»[(٢)] عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟**»، قَالُوا: «وَكَيْفَ يَقْرَأْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟!»، قَالَ: «**﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**».

و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعْدِل ثلث القرآن إذ القرآن توحيد وأحكام ووعظ، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فيها التوحيد كُلُّهُ[(٣)].

وهي مشتملة علىٰ **النفي المجمل والإثبات المفصَّل**.

(١) «الجواب الصحيح» لابن تيمية (٤/٤٠٦).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٨١١).
(٣) «تفسير القرطبي» (١/١١١).

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ والأحد هو الذي لا نظير ولا شبيه له، وهو اسم من أسماء الله تعالىٰ.

وفي الآية: إثبات الأحدية لله المستلزِمة نفي كل شركة عنه، وهذا **إثبات مفصَّل**.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ②﴾ فيها: إثبات الصمدية المستلزِمة لإثبات كل كمال له، وهذا **إثبات مفصَّل**، مع كون الخلائق تصمد إليه في حوائجها، أي: تقصده الخليقة علويُّها وسفليُّها وتتوجَّهُ إليه.

وفي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③﴾ نفي الولد والوالد المتضمن لنفي الفرع والأصل، وهذا **نفي مفصَّل**؛ للردِّ علىٰ المشركين الذين نسبوا الولد لله تعالىٰ.

وفي ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾ نفي الكفءِ عنه المتضمن لنفي النظير والمماثل، وهذا **نفي مجمل**(١).

وقوله: «﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ⑪⓪﴾ [طه: ١١٠]» **فيها**: إثبات صفة العلم لله تعالىٰ، وأن المخلوقين لا يحيطون به علمًا؛ لكماله وعظمته سبحانه وتعالى.

❍ قوله: «**فإن تعطيل الصفات عما دلَّتْ عليه كفر**» فمن أنكر الاستواء كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ⑤﴾ [طه: ٥] فهو كافر، ومن قال: «الله لم يستوِ علىٰ

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن القيم (٤/ ١٨٠، ١٨١).

العرش» كفر؛ لأنه كذَّب الله، ومَنْ كذَّب الله كفر، ومَنْ جحد صفة مِنْ صفات الله كفر.

ومَنْ يُحَرِّف الاستواء ويؤوله إلىٰ معنى الاستيلاء[1] لشبهة فلا يكفر؛ لأنه متأوِّل، وفرق بين الجاحد والمتأوِّل.

❍ قوله: «**والتشبيه فيها كذلك كفر**» وكذا المشبِّهُ ـ كمن يقول: «صفة الخالق مثل صفات المخلوق» ـ أيضًا يكفر.

لهذا قال **العلَّامة ابن القيم** رحمه الله في «الكافية الشافية»[2]:

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا إن المشبه عابد الأوثان
كلا ولا نخليه من أوصافه إن المعطِّل عابد البهتان

❍ قوله: «**وقد سأل رجل مالك بن أنس رحمه الله عن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، فاشتد ذلك علىٰ مالك حتىٰ علته الرحضاء[3] إجلالًا لله وهيبة له مِنْ الخوض في ذلك، ثم قال: «الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة» يريد رحمه الله السؤال عن الكيف**» روى **أثر مالك بن أنس** رحمه الله اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»[4] وأبو نعيم في «حلية الأولياء»[5]

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٤٣ ـ ١٤٩).
(٢) «الكافية الشافية» (ص ٢٠٢).
(٣) هو عرق يغسل الجلد لكثرته، وكثيرًا ما يُستعمل في عرق الحمى والمرض. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٢٠٨).
(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٦٦٤).
(٥) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٥، ٣٢٦).

والبيهقي في «الاعتقاد»[(١)] و«الأسماء والصفات»[(٢)]، وغيرهم.

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا ثابت عن **مالك**»[(٣)].

وقوله: «**الاستواء معلوم**» فالاستواء معلوم في اللغة العربية فله أربع معانٍ: استقر، وصعد، وعلا، وارتفع، وعليها تدور تفاسير **السلف** ولا تخرج عنها كما قال **العلَّامة ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ:

فلهم عبارات عليها أربع قد حُصِّلت للفارس الطَّعَّان
وهي استقر وقد علا وكذلك ار تفع الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد صَعِدَ الذي هو أربع وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره أدرى من الجهمي بالقرآن[(٤)]

❍ وقوله: «**والكيف غير معقول**» يعني: لا يعقل ولا يفهم، فكيفية استواء الرَّبِّ مجهول، وأما معنى الاستواء فهو معلوم.

❍ وقوله: «**والإيمان به واجب**» أي: أن الإيمان بالاستواء واجب؛ لأن الله تعالىٰ وصف نفسه به.

❍ وقوله: «**والسؤال عنه بدعة**» أي: السؤال عن الكيفية بدعة.

---

(١) «الاعتقاد» (ص ١١٦).
(٢) «الأسماء والصفات» رقم (٨٦٧).
(٣) «العلو للعلي الغفار» (ص ٤٠٧).
(٤) «الكافية الشافية» (ص ٨٧).

وهذا كلام عظيم من **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ[١]، **وقد تلقته الأمة بالقبول.**

❍ قوله: **«وهذا الجواب يقال في جميع الصفات»** أي: هذا الجواب من **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ في الاستواء شافٍ كافٍ ويقال في جميع الصفات مثل النزول والمجيء واليد والوجه وغيرها[٢]، وليس خاصًّا بالاستواء؛ **«لأنه يجمع الإثبات والتنزيه»**.

وفي «الصحيحين»[٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ**»، ومعنى الحديث: يضحك الله تعالىٰ من رجلين مسلم وكافر يقتتلان في الجهاد فيدخلان الجنة، يقتل الكافر المسلم فيكون شهيدًا، ثم يمنُّ الله علىٰ الكافر بالإسلام بعد ذلك فيُسْلِمُ ويموت علىٰ الإسلام.

فإذا قال قائل: «يضحك الله، ما معنى الضحك؟».

نقول له: الضحك معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وهكذا في جميع الصفات.

---

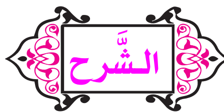
(١) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨/ ٤٨ - ١٣٥).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب «الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل»، رقم (٢٨٢٦)، ومسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٨٩٠).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ويدخل في الإيمان بالله ومعرفته: الإيمان بربوبيته العامَّة الشاملة لجميع الخلق والتكوين، وقيوميته العامَّة الشاملة لجميع التدبير والتسخير والتمكين، فالمخلوقات بأسرها مفتقرة إلىٰ الله في قيامها وبقائها وحركاتها وسكناتها وأرزاقها وأفعالها كما هي مفتقرة إليه في خلقها وإنشائها وإبداعها؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾﴾ [فَاطِر: ١٥-١٦]».



❍ قوله: «ويدخل في الإيمان بالله ومعرفته: الإيمان بربوبيته العامَّة الشاملة لجميع الخلق» يعني: يدخل في الإيمان بالله أن تؤمن بربوبيته تعالىٰ العامَّة لجميع الخلق كما قال: ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ١٣٩].

فهو ربُّ السموات وربُّ الأراضين، وربُّ البحار والأشجار، وربُّ كلِّ شيء، فربوبيته عامَّة وشاملة.

وكذا العُلُوُّ فهو عامٌّ، فالله تعالىٰ عالٍ علىٰ جميع

المخلوقات، فعُلُوُّ الله وربوبية الله علىٰ جميع المخلوقات، بخلاف الاستواء؛ فلا يقال في الاستواء إنه عام، فالاستواء خاصٌّ بالعرش، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فلا يُقال: «استوى علىٰ الأرض»، ولا يقال: «استوى علىٰ البحر»، ولا يقال: «استوى علىٰ الشجر»، بل هو خاصٌّ بالعرش.

❍ قوله: «**والتكوين**» فيدخل في الإيمان بالله ومعرفته: الإيمان بربوبية الله العامَّة الشاملة لجميع الخلق والتكوين، فتؤمن بأن الله تعالىٰ ربُّ كلِّ شيء، وهو مالك كلِّ شيء، ومُكوِّن كلِّ شيء.

❍ قوله: «**وقيوميته العامَّة الشاملة لجميع التدبير والتسخير والتمكين**» أي: يشمل الإيمان بالله ومعرفته الإيمان بقيوميته العامَّة.

والقيومية العامَّة تشمل التدبير والتسخير والتمكين، بأن الله تعالىٰ مُدبِّرٌ لهذا الكون ليس معه شريك، وهو الذي يُسبِّبُ الأسباب، ويرزق الخلق، ويحييهم، ويميتهم، وينزل المطر، وهكذا.

ومن قيومية الله ﷻ: أنه سخَّرَ لنا ما في السموات مِنَ الشمس والقمر والنجوم بعمومها، وهو المدبِّر ﷻ، وهو الذي مَكَّنَ لنا مِنْ الأرض ومهَّدَها لنا لنزرعها ونحفرها ونسافر عليها، وسخَّرَ لنا الحيوانات.

ومِنْ قيومية الله ﷻ العامة والشاملة لجميع التدبير

والتسخير والتمكين: أن المخلوقات قائمة بالله وباقية به، فلولا الله ما قامت ولا بقيت؛ فالذي أقامها هو الله، والذي يبقيها هو الله، والذي يحركها هو الله، والذي يسكنها هو الله كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ۝٤١﴾ [فَاطِر: ٤١]، والذي يرزق المخلوقات هو الله، والذي يجعلها تفعل وتتحرك ويخلق أفعالها هو الله.

ومِنْ تسخيره ﷻ: أن الجمل العظيم الخِلقة يقوده الطفل ويذهب به حيث شاء.

❍ قوله: «**فالمخلوقات بأسرها مفتقرة إلىٰ الله في قيامها وبقائها وحركاتها وسكناتها وأرزاقها وأفعالها كما هي مفتقرة إليه في خلقها وإنشائها وإبداعها**» فكما أنها مفتقرة إلىٰ الله تعالىٰ في الخلق والإنشاء والإبداع فهي كذلك مفتقرة إلىٰ الله تعالىٰ في القيام والبقاء والحركات والسكنات والأرزاق والأفعال؛ «**قال تعالىٰ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٦﴾ [فَاطِر: ١٥-١٦]» يخبر تعالىٰ بغناه عمن سواه وبافتقار المخلوقات كلها إليه وتذللها بين يديه فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي: هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات وهو الغني عنهم بالذات، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥﴾ أي: هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له،

وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويقدره ويشرعه.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ [فَاطِر: ١٦] أي: لو شاء لأذهبكم أيها الناس وأتى بقوم غيركم، وما هذا عليه بصعب ولا ممتنع، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فَاطِر: ١٧][(١)].



(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٥٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ويدخل في الإيمان: إيمان العبد بتوحيد الإلهية الذي تضمنته شهادة الإخلاص «لا إله إلَّا الله»، فقد تضمنت نفي استحقاق العبادة بجميع أنواعها عما سواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِنْ كلِّ مخلوق ومربوب، وأثبتت ذلك علىٰ وجه الكمال الواجب والمستحب لله تعالىٰ، فلا شريك له في فرد مِنْ أفراد العبادة؛ إذ هو الإله الحقُّ المستقل بالربوبية، والملك، والعز، والغنى، والبقاء، وما سواه فقير ومربوب، ومُعَبَّدٌ خاضع له، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فعبادة أحد سواه تعالىٰ أظلم الظلم وأسفه السفه، والقرآن كُلُّهُ رادٌّ علىٰ مَنْ هدم توحيد الإلهية والعبادة فأشرك مع الله غيره في أيِّ نوع مِنْ هذه العبادة مبطل لمذهب جميع أهل الشِّرك والتنديد آمرًا وحاضًّا ومُرغِّبًا في إسلام الوجه لله وحده، والإنابة إليه، والتَّوكُّل عليه، والتَّبتُّل له في عبادته».



❍ وقوله: «**ويدخل في الإيمان**» إذا أطلق «الإيمان» يشمل الإيمان بربوبية الله وبأسمائه وصفاته وبألوهيته، فيشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية،

فالمؤمن هو الذي وَحَّدَ الله تعالىٰ في ربوبيته، ووحَّد الله في أسمائه وصفاته، ووحَّد الله في ألوهيته وعبادته، ومَنْ لم يُوحِّدِ الله في نوع مِنْ هذه الأنواع الثلاثة فليس بمؤمن، وهذا واجب الإيمان المطلق.

وكلمة التوحيد «لا إله إلَّا الله» داخلة في الإيمان، ومعنى «لا إله إلَّا الله» لا معبود حق إلَّا الله، وهذه كلمة عظيمة، فهي أفضل وأعظم كلمة بعد القرآن تكلَّمَ بها الأولون والآخرون، فأفضل الكلام كلام الله القرآن، ويأتي بعده أفضل ما تكلَّم به الناس وهي كلمة التوحيد.

وكلمة التوحيد مشتملة علىٰ أصلين: النفي والإثبات، وبها يتم توحيد العبادة.

الأصل الأول: النفي، وهو أن تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله، وهذا هو الكفر بالطاغوت، فالكفر بالطاغوت هو البراءة مِنْ كلِّ معبود سوى الله، بأن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتنكرها، وتبغضها، وتكفِّر أهلها وتعاديهم.

الأصل الثاني: الإيمان بالله، وهو أن توحِّد الله تعالىٰ وتعبده سبحانه دون ما سواه.

وليس هناك توحيد إلَّا بالأمرين النفي والإثبات، فالنفي هو الكفر بالطاغوت، والإثبات هو الإيمان بالله، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦].

❍ قوله: «**ويدخل في الإيمان: إيمان العبد بتوحيد الإلهية الذي تضمنته شهادة الإخلاص «لا إله إلَّا الله»، فقد تضمنت نفي استحقاق العبادة بجميع أنواعها عما سواه ﷻ مِنْ كلِّ مخلوق ومربوب**» وهذا هو **الشرط الأول**، وهو صدرها «لا إله»، وهذا هو الكفر بالطاغوت لكلِّ مخلوق ومربوب «**وأثبتت ذلك علىٰ وجه الكمال الواجب والمستحب لله تعالىٰ**» في قول «إلَّا الله»، فكلمة التوحيد مشتملة علىٰ نفي وإثبات، كفر وإيمان، كفر بالطاغوت وإيمان بالله، الكفر بالطاغوت هذا نفي، في وقوله: «لا إله»، وإيمان بالله في قوله: «إلَّا الله».

❍ قوله: «**فلا شريك له في فرد مِنْ أفراد العبادة**» كلُّ فرد مِنْ أفراد العبادة يجب فيه الإخلاص لله تعالىٰ، فالصلاة فرد، والذبح فرد، والنذر فرد، والرغبة فرد، والرهبة فرد، وهكذا، فيجب الإخلاص لله تعالىٰ في جميع أفراد العبادة؛ «**إذ هو الإله الحقُّ**» أي: المعبود الحقُّ ﷻ «**المستقل**» وحده «**بالربوبية**» فليس له شريك في الربوبية فهو الرَّبُّ، «**والملك**» فليس له شريك في المُلْكِ، «**والعز**» فليس له شريك في العز، «**والغنى**» فليس له شريك في الغنى، «**والبقاء**» فليس له شريك في البقاء.

❍ قوله: «**وما سواه فقير ومربوب، ومُعَبَّدٌ خاضع له**» وهذا وصف جميع المخلوقات، فكلُّ مَنْ سوى الله مِنْ الآدميين أو الجنِّ أو الملائكة أو السماوات أو الأرضين أو البحار أو الوحوش فقير مربوب ومُعَبَّدٌ وخاضع لله تعالىٰ «**لا**

يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا».

❍ قوله: «فعبادة أحد سواه تعالىٰ أظلم الظلم وأسفه السفه» فَمَنْ عبد غير الله فهو مشرك وظالم.

والظلم معناه: وضع الشيء في غير موضعه، والمشرك وضع العبادة في غير موضعها؛ فالعبادة حقُّ الله فوضعها المشرك وعبد بها المخلوق فوقع في أعظم الظلم وأظلمه وهو الشِّرك بالله كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمَان: ١٣]، فَمَنْ عبد غير الله فقد وقع في أظلم الظلم وأسفه السفه.

❍ قوله: «والقرآن كُلُّهُ رادٌّ علىٰ مَنْ هدم توحيد الإلهية والعبادة فأشرك مع الله غيره في أيِّ نوع مِنْ هذه العبادة» يعني: القرآن كُلُّهُ مِنْ أوله إلىٰ آخره يرد علىٰ مَنْ أشرك مع الله غيره وهدم توحيد العبادة، فَمَنْ دعا غير الله فقد هدم توحيد الإلهية والعبادة وأشرك مع الله غيره، ومَنْ ذبح لغير الله فقد هدم توحيد الإلهية والعبادة وأشرك مع الله غيره، ومَنْ طاف بغير بيت الله فقد هدم توحيد الإلهية والعبادة وأشرك مع الله غيره، ومَنْ صلى لغير الله فقد هدم توحيد الإلهية والعبادة وأشرك مع الله غيره.

❍ قوله: «مبطل لمذهب جميع أهل الشِّرك والتنديد» فالقرآن يرد علىٰ مَنْ هدم التوحيد ويُبطل جميع مذاهب أهل الشِّرك والتنديد «آمرًا وحاضًّا ومُرغِّبًا في إسلام الوجه لله

وحده» أي: إخلاص العمل لله كما في قوله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١١٢] يعني: يخلص عمله لله **«والإنابة إليه»** يعني: الرجوع إليه ﷻ، **«والتَّوكُّل عليه»** يعني: الاعتماد عليه وتفويض جميع الأمور إليه، **«والتَّبتُّل له في عبادته»** يعني: لا ستمرار في العبادة لله.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

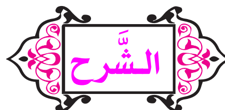
«ولفظ العبادة في أصل اللغة لمطلق الذُّلِّ والخضوع، ومنه: «طريق مُعَبَّدٌ» إذا كان مذلَّلًا قد وطأته الأقدام كما قال الشاعر:

تُبارِي عِتاقًا ناجياتٍ واتبعت وَظِيفًا وظيفًا فوق مَوْرٍ مُعَبَّدِ

واستعملها الشارع في العبادة الجامعة لكمال المحبة وكمال الذُّلِّ والخضوع.

وأوجب الإخلاص لله فيها كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ [الزُّمَر: ٢-٣]، وهذا هو التوحيد الذي جاءت به كلُّ الرُّسُلِ ونزلت به جميع الكُتُبِ.

والعبادة إذا خالطها الشِّرك أفسدها وأبطلها، ولا تُسمَّى عبادة إلَّا مع التوحيد الخالص، قال ابن عباس: «ما جاء في القرآن من الأمر بعبادة الله إنما يراد به التوحيد». أ.هـ».



❍ قوله: «**ولفظ العبادة في أصل اللغة لمطلق الذُّلِّ والخضوع**» فهذا المعنى اللغوي للعبادة.

❍ قوله: «ومنه: «طريق مُعَبَّدٌ» إذا كان مذلَّلًا قد وطأته الأقدام» كذلك الذي يعبد الله خاضع لا يمانع طائع ولا يعصي ربَّهُ، فالمؤمن ذليل خاضع له كالطريق الذي تطأه الأقدام لا يمتنع مِنْ أن يطأه أحد، كذلك المؤمن لا يمتنع من أمر الله فيمتثل أوامر الله ويجتنب نواهيه.

«كما قال الشاعر[١]:

تُبارِي عِتاقًا ناجياتٍ واتبعت   وَظِيفًا وظيفًا فوق مَوْرٍ مُعَبَّدِ»

يعني بـ«المورِ»: الطريق، وبـ«المُعَبَّد»: المذلل الموطوء[٢].

يريد **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ أن يستشهد بأن أصل العبادة في اللغة الطريقُ المُعَبَّدُ المذلَّل التي تطأه الأقدام ولا يمتنع.

❍ قوله: «واستعملها الشارع في العبادة الجامعة لكمال المحبة وكمال الذُّلِّ والخضوع» كما تقدَّم.

❍ قوله: «وأوجب» أي: الشارع «الإخلاص لله فيها» يعني: يجب الإخلاص لله في العبادة كالصلاة والصيام والدعاء والذبح وغيرها بأن يقصد بها وجه الله «كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزُّمَر: ٢-٣]» فإذا

(١) «ديوان طرفة بن العبد» (ص ٢٠).

(٢) «تفسير الطبري» (١/ ٦٩).

صرفها لغيره فقد وقع في الشِّرك.

و«الدين» في قوله تعالىٰ: ﴿مُخۡلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ هو العبادة، أي: مخلصين له في العبادة، ويأتي بمعنى الجزاء والحساب كما في قوله تعالىٰ: ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: ٤].

❍ قوله: «**وهذا**» بأن تعبد الله مع الإخلاص، بمعنى: أن تعبد الله مريدًا بهذه العبادة وجه الله والدار الآخرة «**هو التوحيد الذي جاءت به كلُّ الرُّسُلِ ونزلت به جميع الكُتُبِ**».

❍ قوله: «**والعبادة إذا خالطها الشِّرك أفسدها وأبطلها**» لو عَبَدَ شخصٌ اللهَ في الصلاة والصيام وغيرهما ثم دعى غيره فقال: «يا رسول الله» أو «يا علي» أو «يا حسين» أو «يا بدوي» بطلت عبادته وفسد دينه، والذي أفسده الشِّرك ودعائه لغير الله فصار وثنيًا، فكما أن الوضوء تفسده النواقض من بول أو غائط أو ريح فكذلك التوحيد والعبادة إذا دخلها الشِّرك أفسدها وأبطلها، ولو مات علىٰ ذلك لصار من أهل النار «**ولا تُسمَّى عبادة إلَّا مع التوحيد الخالص، قال ابن عباس: «ما جاء في القرآن من الأمر بعبادة الله إنما يراد به التوحيد»**[1]. **أ.هـ**» بأن تعبد الله ولا تعبد غيره مع التوحيد والإخلاص له.



(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٦٠).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«ويدخل في العبادة الشرعية: كلُّ ما شرعه الله ورضيه مِنْ الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة مِنْ محبة الله، وتعظيمه، وإجلاله، وطاعته، والتَّوكُّل عليه، والإنابة إليه، ودعائه خوفًا وطمعًا، وسؤاله رغبًا ورهبًا، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهود، وصِلة الأرحام، والإحسان إلىٰ الجار واليتيم والمملوك والمسكين وابن السبيل، وكذا النحر والنذر؛ فإنهما مِنْ أجلِّ العبادات وأفضل الطاعات، وكذا الطواف ببيته تعالىٰ، وحلق الرأس نسكًا تعظيمًا وعبودية، وكذا سائر الواجبات والمستحبات».



❍ قوله: **«ويدخل في العبادة الشرعية: كلُّ ما شرعه الله ورضيه مِنْ الأقوال»** **الباطنةِ** كالتصديق والإقرار، **والظاهرةِ** وهي أقوال اللسان، كالذكر، والتسبيح، والدعاء، وتلاوة القرآن، والتهليل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلىٰ الله، والتعلم، والتعليم **«والأعمال الباطنة»** وهي أعمال القلوب كالنية، والإخلاص، والمحبة، والخوف، والرجاء، والرغبة،

والرهبة **«والظاهرة»** كالصلاة، والصيام، والحج.

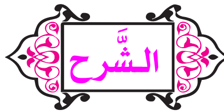
و**«مِنْ»** الأعمال الباطنة: **«محبة الله، وتعظيمه، وإجلاله، وطاعته، والتَّوكُّل عليه»** يعني: الاعتماد عليه وتفويض الأمر إليه، **«والإنابة إليه»** أي: الرجوع إليه، **«ودعائه»** أي: دعاء الله، **«خوفًا وطمعًا، وسؤاله»** يعني: بأن يسأل الله، كأن يقول: «اللهم إني اسألك الجنة وأعوذ بك من النار» **«رغبًا ورهبًا»** يعني: خوفًا وطمعًا، **«وصدق الحديث»** بأن يصدق في حديثه، وهذا من العبادة، **«وأداء الأمانة»** ومن ذلك: أمانة التكليف من الوضوء والصلاة وغيرهما، **«والوفاء بالعهود، وصِلة الأرحام»** وهم الأقارب مِنْ قِبل الأب أو الأم، **«والإحسان إلىٰ الجار واليتيم والمملوك»** أي: العبيد **«والمسكين وابن السبيل»** وهو المسافر المجتاز الذي قد فرغت نفقته فيعطى ما يوصله إلىٰ بلده ويُحسن إليه، **«وكذا النحر»** يعني: الذبح بأن يكون لله **«والنذر»** كأن ينذر عبادة مِنْ صلاة أو صيام أو ذبح لله؛ **«فإنهما مِنْ أجلِّ العبادات وأفضل الطاعات، وكذا الطواف ببيته تعالىٰ»** مِنْ العبادة **«وحلق الرأس»** في العمرة أو الحج **«نسكًا تعظيمًا وعبودية، وكذا سائر الواجبات والمستحبات»**.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فحق الله علىٰ العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

والشِّرك في العبادة ينافي هذا التوحيد ويبطله؛ فإن الله تعالىٰ لَمَّا ذكر خواصَّ أوليائه ومقربي رُسُلِهِ قال: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]».



❍ قوله: «**فحق الله علىٰ العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**» كما أخبر النبي ﷺ، في «الصحيحين»[1] عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا أَخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**»، قُلْتُ: «لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ»، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**»، قُلْتُ: «لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ»، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**»، قُلْتُ: «لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ»، قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي**

(١) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب «إرداف الرجل خلف الرجل»، رقم (٥٩٦٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٣٠).

مَا حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ؟»، قُلْتُ: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، قَالَ: «**حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**»، قُلْتُ: «لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ»، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوهُ؟**»، قُلْتُ: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، قَالَ: «**حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**».

حقُّ الله علىٰ عباده: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وهذا هو الأمر الذي خلقهم لأجله.

❍ قوله: «**والشِّرك في العبادة ينافي هذا التوحيد ويبطله**»

فإذا أشرك العبد في عبادة الله فذبح أو نذر لغيره بطل توحيده؛ «**فإن الله تعالىٰ لَمَّا ذكر خواصَّ أوليائه ومقربي رُسُلِهِ قال**: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]» فذكر أن الشِّرك بجميع أنواعه كالذبح لغير الله أو النذر لغيره أو دعاء غيره أو السجود لغيره يُبطل الأعمال ويحبطها.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والشِّرك قد عَرَّفَهُ النبي ﷺ بتعريف جامع كما في حديث ابن مسعود أنه قال: «يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟»، قال: «أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك»، والنِّدُّ: المِثْلُ والشبيه.

فمن صرف شيئًا مِنْ العبادات القولية أو الاعتقادية أو المالية أو العملية لغير الله فقد أشرك شركًا يبطل به التوحيد وينافيه؛ لأنه شَبَّه المخلوق بالخالق فأحبَّهُ كحبِّهِ وعَظَّمَهُ كتعظيمه وخافه كخوفه، ولهذا كان الشِّرك أكبر الكبائر على الإطلاق، وكان محبطًا لكلِّ عملٍ، وكان مُحرِّمًا الجنةَ على صاحبه.

والشِّرك فيه أسوأ الظنِّ بالله كما قال الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا الصَّلاة والسَّلام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصَّافات: ٨٥-٨٧]، قال العلَّامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: فما ظنكم أن يجازيكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره؟!، وما ظنكم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أحوجكم ذلك إلى العبودية لغيره؟!، فلو ظننتم به ما

هو أهله مِنْ أنه بكلِّ شيء عليم، وعلىٰ كلِّ شيء قدير، وأنه الغني عن كلِّ ما سواه، وكلُّ ما سواه فقير إليه، وأنه قائم بالقسط علىٰ خلقه، وأنه المنفرد بتدبير خلقه لا يشركه فيه غيره، وأنه العالم بتفاصيل الأمور فلا تخفى عليه خافية مِنْ خلقه، وأنه الكافي لهم وحده لا يحتاج إلىٰ معين، وأنه الرحمن بذاته فلا يحتاج في رحمته إلىٰ مَنْ يستعطفه.

وهذا بخلاف الملوك وغيرهم مِنَ الرؤساء؛ فإنهم محتاجون إلىٰ مِنْ يعُرِّفهم أحوال الرَّعِيَّةِ وحوائجهم، ومحتاجون إلىٰ مَنْ يعينهم علىٰ قضاء حوائجهم، وإلىٰ مَنْ يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة فاحتاجوا إلىٰ الوسائط ضرورةً لحاجتهم، وعجزهم، وضعفهم، وقصور علمهم.

فأما القادر علىٰ كلِّ شيء الغني بذاته عن كلِّ شيء العالم بكلِّ شيء الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كلَّ شيء فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقُّصٌ بحقِّ ربوبيته وإلهيته وتوحيده، وظنٌّ به ظنَّ السَّوء، وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده، ويمتنع في العقول والفِطَرِ، وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كلِّ قبح». انتهى».



❍ قوله: «**والشِّرك قد عَرَّفَهُ النبي ﷺ بتعريف جامع كما في حديث ابن مسعود أنه قال: «يا رسول الله، أي الذنب**

أعظم؟»، قال: «أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك»[(١)]**، والنِّدُّ: المِثْلُ والشبيه»** إذًا الشِّرك هو جعل النِّدِّ لله، والنِّدُّ هو المثيل، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥]، فالشِّرك هو أن يجعل ندًا لله يحبه كحبِّ الله ويخافه كخوفه ويرجوه كرجائه.

وأول أمر في القرآن الكريم هو الأمر بالتوحيد كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البَقَرَة: ٢١].

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ أمر بالتوحيد ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ فالذي فعل هذه الأشياء هو المستحقُّ للعبادة، ثم قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٢].

إذًا، عَرَّفَ النبي ﷺ الشِّرك بأنه أن تجعل لله ندًّا ـ وهو المثيل ـ وهو خلقك، أي: تجعل له مثيلًا في العبادة والخوف، تدعوه كما تدعوا الله، أو تخافه كما تخاف الله، أو ترجوه كما ترجوا الله، أو تصرف له الدعاء أو النذر أو المحبة أو الخوف أو الرجاء.

❍ قوله: **«فمن صرف شيئًا مِنْ العبادات القولية»**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب «قوله تعالىٰ: ﴿تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٢]، رقم (٤٤٧٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٨٦).

كالدعاء، كأن يقول: «يا علي» أو «يا حسين» فيدعو غير الله فقد صرف العبادات القولية لغير الله «أو الاعتقادية» كأن يعتقد أن لله شريكًا ومُدِّبرًا في هذا الكون، أو يعتقد أن لله صاحبة أو ولدًا ـ والعياذ بالله ـ، أو يعتقد بأن ليس لله ﷻ صفات الكمال، أو جحد اسمًا مِنْ أسماء الله أو صفة مِنْ صفاته، أو أنكر وجود مَلِكٍ من الملائكة، أو أنكر الجزاء والحساب أو الجنة والنار **«أو المالية»**: كمن أدَّى الزكاة أو الصدقة أو الكفارة لغير الله، مثل: ما يفعل **بعض الصوفية** يُقدِّمون النذور والأموال لأصحاب القبور، وكذلك **النصارى** لرؤسائهم وقساوستهم، وكذلك **بعض الرافضة والباطنية** لرؤسائهم فيصرفونها لغير الله **«أو العملية»** كالصوم والصلاة **«لغير الله فقد أشرك شركًا يبطل به التوحيد وينافيه؛ لأنه شَبَّه المخلوق بالخالق»** فإذا صرف العبادة للمخلوق فقد شَبَّهُ بالخالق، فالخالق هو المستحقُّ للعبادة، فإذا عبد غير الله وصَرَفَ العبادة لغيره التي هي حقٌّ له ﷻ فقد جعله شبيهًا لله **«فأحبَّهُ كحبِّهِ»** ومحبة العبادة خاصَّة بالله بخلاف المحبة الطبيعية ـ كما سيأتي ـ، ومحبة العبادة التي تقتضي الطاعة والامتثال والخضوع والذُّلَّ إن جعلها للمخلوق فقد جعله ندًّا لله، وهذا هو الشِّرك **«وعَظَّمَهُ كتعظيمه وخافه كخوفه، ولهذا كان الشِّرك أكبر الكبائر علىٰ الإطلاق»** كما في «الصحيحين»[(١)]

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب «ما قيل في شهادة الزور»، رقم (٢٦٥٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٨٧).

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**» ثَلَاثًا، قَالُوا: «بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ»، قَالَ: «**الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**».

❍ قوله: «**وكان**» أي: الشِّرك «**محبطًا لكلِّ عملٍ**» يعني: يبطل كلَّ عمل يعمله الإنسان كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٨٨﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]، وهذه النصوص كلُّها تدل علىٰ إحباط وإبطال العمل بشرك صاحبه، «**وكان مُحرِّمًا الجنةَ علىٰ صاحبه**» كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

❍ قوله: «**والشِّرك فيه**» الضمير يعود إلىٰ الله «**أسوأ الظنِّ بالله**».

كيف يكون الشرك أسوأ الظن بالله؟

لَمَّا صرف المشرك العبادةَ لغير الله ظنَّ أنه مستحقٌّ للعبادة، وهذا أسوأ الظَّنِّ أن المخلوق يستحق ما يستحقه الخالق من العبادة فتصرف العبادة له «**كما قال الخليل إبراهيم عليه وعلىٰ نبينا الصَّلاة والسَّلام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝٨٥ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾ [الصافات: ٨٥-٨٧]**» يقول تعالىٰ ذكره مخبرًا عن قيل

إبراهيم لأبيه وقومه ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصَّافات: ٨٧] يقول: فأي شيء تظنون أيها القوم أنه يصنع بكم إن لقيتموه وقد عبدتم غيره؟![1]، تظنون أن ربَّ العالمين يرضى أن تُصرف العبادة لغيره، فإذا كنتم تظنون هذا فهذا أسوأ الظنِّ.

❍ قوله: «**قال العلَّامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أي: فما ظنكم أن يجازيكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره؟!**» فإذا ساء العمل ساءت الظنون، وإذا حسن العمل حسنت الظنون، ولهذا في «صحيح مسلم»[2] عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ يَقُولُ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ**»، فينبغي للمؤمن أن يحسن الظنَّ بالله، ولا يحسن أحد الظَّنُّ إلَّا إذا حسن العمل، وإذا ساء العمل ساءت الظنون.

يقول: «**أي: فما ظنكم أن يجازيكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره؟!**» ما ظنكم أن يجازيكم وقد عملتم عملًا سيئًا الذي هو أقبح مِنْ كلِّ عمل وهو الشِّرك، فما ظنكم أن يجازيكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره؟!، لا بُدَّ أن يجازيكم بالخلود في النار كما توعدكم بأن مَنْ مات علىٰ الشِّرك الأكبر مصيره الخلود في النار.

«وما ظنكم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتىٰ أحوجكم ذلك إلىٰ العبودية لغيره؟!» تنقَّصتم الله في أسمائه

(١) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٧٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٧٧).

وصفاته وربوبيته حيث عبدتم غيره وهو الكامل في أسمائه وصفاته وربوبيته فلا ينبغي أن تكون العبادة إلَّا له، فلو كنتم تعتقدون أنه كامل في ربوبيته وفي أسمائه وصفاته وأفعاله ما عبدتم غيره وهو الكامل المستحقُّ للعبادة، وهو الذي بيده كلَّ شيء، وهو القادر علىٰ كلِّ شيء، فلما عبدتم غيره دلَّ علىٰ أنكم تظنون فيه النقص، وهذا المخلوق الذي عبدتموه جعلتموه شبيهًا لله وندًّا له ـ والعياذ بالله ـ.

❍ قوله: «فلو ظننتم به ما هو أهله مِنْ أنه بكلِّ شيء عليم، وعلىٰ كلِّ شيء قدير، وأنه الغني عن كلِّ ما سواه، وكلُّ ما سواه فقير إليه، وأنه قائم بالقسط» يعني: بالعدل «علىٰ خلقه، وأنه المنفرد بتدبير خلقه لا يشركه فيه غيره، وأنه العالم بتفاصيل الأمور فلا تخفى عليه خافية مِنْ خلقه، وأنه الكافي لهم وحده لا يحتاج إلىٰ معين، وأنه الرحمن بذاته فلا يحتاج في رحمته إلىٰ مَنْ يستعطفه» فلو كنتم تعتقدون هذا ما عبدتم غيره، لكنكم تنقَّصتم الرَّبَّ ونفيتم هذه الأمور التي هو أهل لها عنه.

❍ قوله: «وهذا بخلاف الملوك وغيرهم مِنَ الرؤساء» والأمراء والوزراء ورؤساء الجمهوريات والملوك جميعًا؛ «فإنهم محتاجون إلىٰ مِنْ يعُرِّفهم أحوال الرَّعِيَّةِ وحوائجهم» أمَّا الله فلا يحتاج إلىٰ أحد يرفع الأمور إليه؛ فهو العالم بكلِّ شيء، ولهذا مَنْ جعل بينه وبين الله واسطة صار مشركًا.

❍ قوله: «ومحتاجون إلىٰ مَنْ يعينهم علىٰ قضاء

حوائجهم، وإلىٰ مَنْ يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة فاحتاجوا إلىٰ الوسائط ضرورةً لحاجتهم، وعجزهم، وضعفهم، وقصور علمهم» أما الرَّبُّ فلا؛ فليس محتاجًا ولا عاجزًا ولا ضعيفًا، بخلاف الملوك والرؤساء يحتاجون إلىٰ وسائط ضرورةً لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم.

❍ قوله: «فأما القادر علىٰ كلِّ شيء الغني بذاته عن كلِّ شيء العالم بكلِّ شيء الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كلَّ شيء فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقُّصٌ بحقِّ ربوبيته وإلهيته وتوحيده» فَمَنْ جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم أو ينذر أو يذبح لهم فقد تنقَّص الرَّبَّ في ربوبيته وألوهيته وتوحيده، «وظنٌّ به ظنَّ السَّوء» ظنَّ العبد به أنه محتاج وعاجز وعلمه قاصر مثل المخلوق فعبد غيره «وهذا» أي: الوسائط «يستحيل أن يشرعه لعباده» بأن يجعلوا بينه وبين عباده وسائط يشفعون له، كأن يدعو ميتًا أو غائبًا «يا فلان، ادع الله لي» أو «يا فلان، اشفع لي عند الله» كما يفعل المشركون؛ هذا هو الشِّرك، وهو ضدُّ التوحيد ويستحيل أن يشرعه الله لعباده «ويمتنع في العقول والفِطَرِ» السليمة أن يشرع الله لعباده وسائط بينه وبين عباده «وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كلِّ قبح»، بل هذا الشِّرك بأن يجعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم وينذر لهم أقبح القبح وأظلم الظلم. «انتهى»[1].

---

(١) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» (ص ٣١٩، ٣٢٠).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إذا عرفت هذا فصلاح العبد وفلاحه وسعادته ونجاته وسروره ونعيمه إنما هو في إفراد الله بهذه العبادة والإنابة إليه بما شرعه لعباده منها، وأصلها كمال المحبة وكمال الذُّلِّ والخضوع كما تقدَّم، هذا سرُّ العبادة وروحها.

ولا بُدَّ في عبادة الله مِنْ كمال المحبة مع كمال الخضوع، فأحبُّ خلق الله إلىٰ الله وأقربهم منزلة عنده مَنْ قام بهذه المحبة والعبودية، وأثنى علىٰ ربِّهِ سبحانه بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلىٰ، فمن أجل ذلك كان الشِّرك أبغض الأشياء إلىٰ الله؛ لأنه ينقض هذه المحبة والخضوع والإنابة والتعظيم، ويجعل ذلك شركة بين الله وبين مَنْ أشرك به مِنْ الأنبياء أو الأولياء أو الملائكة أو الأشجار والأحجار، ولذلك لا يغفره الله أبدًا لمن أصرَّ عليه حتىٰ مات؛ لأنه يتضمن سبَّ الله وتنقُّصه بالتسوية بينه وبين مَنْ اتخذ معه شريكًا في المحبة والتعظيم وغير ذلك مِنْ أنواع العبادة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]، أخبر سبحانه أن مَنْ أحبَّ أحدًا أو شيئًا دون الله حبًّا مِنْ جنس الحبِّ الواجب لله وهو الحبُّ مع الذُّلِّ

والخضوع فقد اتخذه ندًّا لله، وهذا معنى قول المشركين لمعبوديهم يوم القيامة ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٩٧-٩٨]، فهذه تسوية في المحبة والتأليه لا في الذات والأفعال والصفات؛ والآيات قبلها تدلُّ علىٰ ذلك إذ يقول الله: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٩٤-١٠٢]، كما حكى عنهم في سورة البقرة أيضًا ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١٦٦-١٦٧]، فَمَنْ صرف ذلك لغير الله الإله الحقِّ فقد أعرض عنه، وأبقَ عن مالكه وسيده فاستحقَّ مقته وغضبه وطرده عن دار كرامته ومنازل أحبابه».



❍ قوله: «**إذا عرفت هذا**» **أي: عرفت ما تقدَّم مِنْ كلام العلَّامة ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ أن مِنْ الشِّرك إدخال الوسائط، وتنقُّص الله في ربوبيته وتوحيده والظَّنُّ به ظنَّ السَّوء، وأن هذا يستحيل أن يشرعه لعباده ويمتنع، وأن قبح هذا مستقر في

العقول فوق كلِّ قبيح «**فصلاح العبد وفلاحه وسعادته ونجاته وسروره ونعيمه إنما هو في إفراد الله بهذه العبادة والإنابة إليه**» يعني: كونه ينيب ويرجع إلىٰ الله ويؤدِّي حقَّهُ «**بما شرعه لعباده منها**» فلا يكون العبد صالحًا حتىٰ يُوحِّد الله ويفرده في العبادة والإنابة إليه بما شرعه لعباده منها، وإن لم يفعل يكون كافرًا، والكفر أعظم الفساد، فالصلاح يكون بالتوحيد، والصالح هو الموحِّد، والمشرك من المفسدين في الأرض.

إذا أفرد العبد ربَّهُ بالعبادة حصل له صلاح في الدنيا بنعيم القلب وطمأنينته وراحته بالتوحيد، وحصل له المطلوب وهو رضا الله والتنعم بدار كرامته في جنته والسَّلامة من النار وغضب الله وسخطه، وهذا هو الفلاح، فالموحِّد الذي يفرد الله بالعبادة يحصل علىٰ المطلوب وينجو ويسلم من المرهوب.

❍ قوله: «**وأصلها**» أي: أصل العبادة «**كمال المحبة وكمال الذُّلِّ والخضوع كما تقدَّم**» من أن العبادة تقوم علىٰ أصلين كمال المحبة وكمال الذُّلِّ والخضوع «**هذا سرُّ العبادة وروحها**» غاية الحبِّ مع غاية الذُّلِّ والخضوع هما ركنا العبادة وقطب رحاها، ويديرها أمر الله وأمر رسوله ﷺ «**ولا بُدَّ في عبادة الله مِنْ كمال المحبة مع كمال الخضوع**».

❍ قوله: «**فأحبُّ خلق الله إلىٰ الله وأقربهم منزلة عنده مَنْ قام بهذه المحبة والعبودية**» وهم الرُّسُلُ، وأقربهم أولي العزم الخمسة **نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد** ﷺ، وأقربهم

وأعبدهم **الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما الصَّلاة والسَّلام**، وأحب الخليلين وأعبدهما لله **نبينا** ﷺ؛ فهو أكرم الخلق علىٰ الإطلاق وأحبهم إلىٰ الله وأعبدهم وأشجعهم وأكرمهم وأعظم الناس خَلْقًا وخُلُقًا وأفضلهم في جميع الصفات.

أعظم مَنْ قام بالعبودية هو **نبينا** ﷺ، ثم يليه **جدُّهُ إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام**، ثم **بقية أولي العزم الخمسة**، ثم **بقية الرُّسُل**، ثم **الأنبياء**، ثم يليهم **الصِّدِّيقون** جمع صدِّيق، وهو صيغة مبالغة، وهو الذي قوي إيمانه وتصديقه حتىٰ أحرق الشبهات والشهوات، وفي مقدمتهم **الصِّدِّيق أبو بكر** رضي الله عنه، ثم يليهم في المحبة والعبودية **الشهداءُ**، والشهيد هو الذي قُتِلَ في المعركة لإعلاء كلمة الله، بذل روحه التي بين جنبيه - وهي أغلى ما يملك الإنسان - رخيصة لله ومحبة له، ثم يليهم **الصالحون** والصالحون هم الذين قاموا بحقوق الله وحقوق عباده علىٰ تفاوت بينهم، فأحب الخلق إلىٰ الله وأقربهم منزلة منه مَنْ قام بهذه العبودية «**وأثنى علىٰ ربِّهِ سبحانه بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلىٰ**» فَمَنْ قام بعبودية الله ومحبته والثناء عليه بأسمائه وصفاته فهو أحب خلق الله إلىٰ الله وأقربهم منزلة عنده.

❍ قوله: «**فمن أجل ذلك كان الشِّرك أبغض الأشياء إلىٰ الله؛ لأنه ينقض هذه المحبة والخضوع والإنابة والتعظيم، ويجعل ذلك**» أي: المحبة والخضوع والإنابة والتعظيم «**شركة بين الله وبين مَنْ أشرك به**» يجعلها مشتركة بين الله وبين مَنْ

أشرك به «مِنْ الأنبياء أو الأولياء أو الملائكة أو الأشجار والأحجار» فيعبد الله تارة ويعبد المخلوق تارة، وقد كان المشركون الذين بُعث فيهم النبي ﷺ يعبدون الله فكانوا يصلون ويطوفون بالبيت، ويحجون علىٰ ما كان عليه دين **إبراهيم** عليه السلام، لكن كانوا مشركين لأنهم عبدوا الله وعبدوا معه غيره، فهم تارة يدعون الله وتارة يدعون غيره من الأنبياء أو الأولياء أو الملائكة أو الأشجار والأحجار وهكذا، فتارة يذبحون لله وتارة يذبحون لغيره، فأشركوا مع الله غيره، فصارت المحبة مشتركة بعضها لله وبعضها لمن أشرك معه، بخلاف المؤمن الموحِّد فمحبته خالصة لله ليس معه أحد، فمن أجل ذلك كان الشِّرك أبغض الأشياء إلىٰ الله؛ لأنه ينقض هذه المحبة والخضوع والإنابة والتعظيم ويجعل ذلك شركة بين الله وبين مَنْ أشرك بهم مع الله.

❍ قوله: «ولذلك لا يغفره الله أبدًا لمن أصرَّ عليه حتىٰ مات» كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النِّسَاء: ٤٨]؛ «لأنه يتضمن سبَّ الله وتنقُّصه بالتسوية بينه وبين مَنْ اتخذ معه شريكًا في المحبة والتعظيم وغير ذلك مِنْ أنواع العبادة» مَنْ عبد غير الله فقد سبَّهُ، والسبُّ هو الذَّمُّ والعيب، فالذي يعبد الأصنام والأوثان سبَّ اللهَ وذمَّهُ وعابه حيث اعتقد أن غيره يساويه، فالشِّرك سبٌّ لله وتنقُّصٌ له بالتسوية بينه وبين مَنْ اتخذ معه شريكًا في المحبة والتعظيم، وهذا أعظم السبِّ.

❍ قوله: «قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥]، أخبر سبحانه أن مَنْ أحبَّ أحدًا أو شيئًا دون الله حبًّا مِنْ جنس الحبِّ الواجب لله وهو الحبُّ مع الذُّلِّ والخضوع» الذي يقتضي امتثال أوامره واجتناب نواهيه «فقد اتخذه ندًّا لله».

وقوله: «مِنْ جنس الحبِّ الواجب لله» هذا يخرج الحبَّ الطبيعي كحبِّ المال والصديق والولد والوالد والظمآن للماء والجائع للطعام كما سيبيِّنُ **المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❍ قوله: «وهذا معنى قول المشركين لمعبوديهم يوم القيامة ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الشُّعَرَاء: ٩٧-٩٨]» يعني: المشركون يوم القيامة حينما يدخلون النار مع معبوديهم يدور بينهم حوار، فيقول العابد للمعبود: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧﴾ يحلف أنه كان في الدنيا في ضلال مبين؛ ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٩٨﴾، كيف نسوِّيكم بربِّ العالمين؟!، ربُّ العالمين المستحقُّ للعبادة نسوِّيكم به ونجعلكم تستحقون العبادة مثله؟!.

ولذلك قال الله تعالىٰ حكاية عنهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢﴾ [السَّجدَة: ١٢]، ولكن أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنهم لو ردُّوا لعادوا لما نهوا عنه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟

لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨].

❍ قوله: «فهذه تسوية في المحبة والتأليه» **أي: التعبد** «لا في الذات والأفعال والصفات» فلم يسووهم بالله في ذاته ولا أفعاله ولا صفاته، فلم يقولوا: «ذاتهم مثل ذات الله» أو «أفعالهم مثل أفعال الله» أو «صفاتهم مثل صفات الله»، إنما سووهم في المحبة والتأليه والتعبد.

❍ قوله: «والآيات قبلها تدلُّ علىٰ ذلك إذ يقول الله» إخبارًا عن العابدين والمعبودين الذين سقطوا في النار «﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٩٤-١٠٢]» ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾ يعني: أسقطوا ووضعوا فيها ﴿هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾﴾ يعني: المعبودين ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ فكلهم سقطوا في النار.

﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ كيف نسوِّيكم بربِّ العالمين ونصرف لكم حقَّهُ من العبادة والتأله؟!، ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ فأضلُّونا وزيَّنوا لنا الباطل، ثم قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٠٠-١٠١] فلا أحد يشفع لنا حتىٰ نخرج من النار، ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ أي: رجعة إلىٰ الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٠٢] أي: لآمنا من

جديد ووحدنا الله تعالىٰ، ولكن هيهات؛ ليس هناك رجعة إلىٰ الدنيا، ثم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٠٣].

❍ قوله: «كما حكى عنهم في سورة البقرة أيضًا ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾» وهم المتبوعون المعبودون «﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾» فالذين اتُّبِعُوا تبرؤوا يوم القيامة مِنْ الذين عبدوهم «﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾» أي: رجعة إلىٰ الدنيا «﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾» يقولون: ليت لنا رجعة إلىٰ الدنيا حتىٰ نتبرأ منكم كما تبرأتم مِنَّا فنجازيكم بالمثل، وهذه كلها أماني وحسرات، فلذلك قال تعالىٰ: «﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١٦٦- ١٦٧]» مع هذه المحاورة لا يخرجون من النار ولهم عذاب السموم ـ نسأل الله العافية ـ، وهذا جزاء الكافرين.

❍ قوله: «فَمَنْ صرف ذلك» أي: العبادة «لغير الله الإله الحقِّ فقد أعرض عنه، وأبقَ» يعني: هرب «عن مالكه وسيده» فالعبد مملوك لله، فنحن عبيد له، فالموحِّد مطيع لله كالعبد المطيع لسيده، والمشرك هارب عن سيده ومولاه إلىٰ غيره «فاستحقَّ مقته» والمقت أشدُّ البغض «وغضبه وطرده عن دار كرامته» وهي الجنة «ومنازل أحبابه»، وهذا جزاء المشركين.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والمحبة ثلاثة أنواع:

[النوع الأول][1]: محبة طبيعية كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء وغير ذلك، وهذه لا تستلزم التعظيم.

والنوع الثاني: محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده ونحوها، وهذه أيضًا لا تستلزم التعظيم.

والنوع الثالث: محبة أنس وألف، وهي محبة المشتركين في صناعة، أو علم، أو مرافقة، أو تجارة، أو سفر بعضهم لبعض، وكمحبة الإخوة بعضهم لبعض.

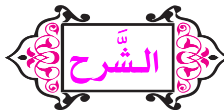
فهذه المحبة التي تصلح للخلق بعضهم من بعض، ووجودها فيهم لا يكون شركًا في محبة الله سبحانه، ولهذا كان الرسول ﷺ يحب الحلوى والعسل، وكان أحبُّ الشراب إليه الحلو البارد، وكان أحب اللحم إليه الذراع، وكان يحب نساءه، وكانت عائشة أحبهن إليه، وكان يحب أصحابه، وأحبهم إليه الصّديق رضي الله عنه.

وأما المحبة الخاصَّة التي لا تصلح إلَّا لله وحده والتي إن أحب العبد بها غيره كان شركًا لا يغفره الله فهي محبة العبودية المستلزمة للذُّلِّ والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة

(١) ليست في «الأصل».

وإيثار رضا المحبوب علىٰ رضا غيره، فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلًا.

وهي التي سوى [المشركون][١] فيها بين آلهتهم وبين الله، وهي أول دعوة الرُّسُلِ، وآخر كلام العبد المؤمن الذي إذا مات عليه، دخل الجنة اعترافه وإقراره بهذه المحبة وإفراد الرَّبِّ بها فهي أول ما يدخل بها في الإسلام، وآخر ما يخرج به المؤمن من الدنيا إلىٰ الله، وجميع الأعمال كالأدوات والآلات لها، وجميع المقامات وسائل إليها وأسباب لتحصيلها وتكميلها وتحصينها من الشوائب والعلل، فهي قطب رحى السعادة، وهي روح الإيمان، وساق شجرة الإسلام، ولأجلها خُلِقَ الإنس والجنُّ، ولأجلها أُنزل الكتاب والحديد، فالكتاب هادٍ إليها ودالٌ عليها، ومفصِّل لها، والحديد لمن خرج عنها وأشرك مع الله غيره فيها، ولأجلها خلقت الجنة والنار، فالجنة دار أهلها الذين أخلصوها لله وحده فأخلصهم لها، والنار دار مَنْ أشرك فيها مع الله غيره وسوَّى بينه وبين الله فيها، فالقيام بها علمًا واعتقادًا وعملًا وحالًا وتصحيحًا هو تصحيح شهادة أن لا إله إلَّا الله».



❍ قوله: «**والمحبة**» **غير محبة العبادة** «**ثلاثة أنواع**»،

(١) في الأصل: المشركين.

وكان الأصل أن يقول المحبة أربعة أنواع: ثلاثة أنواع طبيعية، والرابع هي محبة العبادة، أو يقول «والمحبة نوعان: محبة طبيعية ومحبة العبادة، والمحبة الطبيعية ثلاثة أنواع».

❍ قوله: «**[النوع الأول]: محبة طبيعية**» سمَّاها «محبة طبيعية»، والأصل أن الأنواع الثلاثة كلها طبيعته، ومثل النوع الأولى فقال: محبة طبيعية «**كمحبة الجائع للطعام**» فقد طُبِعَ الإنسان علىٰ هذا ومن ذلك محبة «**الظمآن للماء وغير ذلك، وهذه لا تستلزم التعظيم**».

❍ قوله: «**والنوع الثاني: محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده ونحوها، وهذه أيضًا لا تستلزم التعظيم**» فالأولى محبة طبيعية لا تستلزم التعظيم، والثانية محبة رحمة وإشفاق لا تستلزم التعظيم.

❍ قوله: «**والنوع الثالث: محبة أنس وألف، وهي محبة المشتركين في صناعة**» أناس يشتغلون في مصنع واحد يوميًا يعملون سويًّا وينصرفون سويًّا فيحصل بينهم أنس وألف في العمل «**أو علم**» كطلبة العلم أو الطلاب في المدارس والكليات بينهم وبين زملائهم محبة أنس وألف «**أو مرافقة**» في السفر «**أو سفر بعضهم لبعض، وكمحبة الإخوة بعضهم لبعض**» كلُّ هذا من محبة الأنس والألف.

❍ قوله: «**فهذه المحبة التي تصلح للخلق بعضهم من بعض، ووجودها فيهم لا يكون شركًا في محبة الله سبحانه**»

فهي ليست شركًا؛ لأنها طبيعية.

❍ قوله: **«ولهذا كان الرسول ﷺ يحب الحلوى والعسل»[(١)] بطبعه، «وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد[(٢)]»، وكان أحب اللحم إليه الذراع[(٣)]، وكان يحب نساءه، وكانت**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب «الحلواء والعسل»، رقم (٥٤٣١)، ومسلم، كتاب الطلاق، رقم (١٤٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الأشربة، باب «أي الشراب كان أحب إلىٰ رسول الله ﷺ»، رقم (١٨٩٥)، وأحمد (٦/ ٣٨، ٤٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه». «المستدرك» (٤/ ١٥٣)، **وقال الترمذي**: «هكذا روىٰ غير واحد عن ابن عيينة مثل هذا عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة، **والصحيح** ما روي عن الزهري عن النبي مرسلًا»، **وقال أبو زرعة**: «المرسل **أشبه**». «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٢/ ٣٦)، **وقال الدارقطني**: «والمرسل **أشبه بالصواب**». «العلل» (١٤/ ١١٩).

وأخرج الترمذي المرسل، كتاب الأشربة، باب «أي الشراب كان أحب إلىٰ رسول الله ﷺ»، رقم (١٨٩٦)، **وقال**: «وهذا **أصح** من حديث ابن عيينة رحمه الله».

وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما كما عند أحمد (١/ ٣٣٨) إلَّا أن تابعيه لم يُسمَّ.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾، رقم (٤٧١٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عائشة أحبهن إليه، وكان يحب أصحابه، وأحبهم إليه الصديق رضي الله عنه[(١)]» كلُّ هذه محبة طبيعية؛ لأنها لا تستلزم التعظيم والطاعة.

❍ قوله: «وأما المحبة الخاصَّة التي لا تصلح إلَّا لله وحده والتي إن أحب العبد بها غيره كان شركًا لا يغفره الله فهي محبة العبودية المستلزمة للذُّلِّ والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثار رضا المحبوب علىٰ رضا غيره، فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلًا.

وهي التي سوَّى [المشركون] فيها بين آلهتهم وبين الله، وهي أول دعوة الرُّسُلِ، وآخر كلام العبد المؤمن الذي إذا مات عليه دخل الجنة اعترافه وإقراره بهذه المحبة وإفراد الرَّبِّ بها، فهي أول ما يدخل بها في الإسلام، وآخر ما يخرج به المؤمن من الدنيا إلىٰ الله، وجميع الأعمال كالأدوات والآلات لها، وجميع المقامات وسائل إليها وأسباب لتحصيلها وتكميلها وتحصينها من الشوائب والعلل، فهي قطب رحى السعادة، وهي روح الإيمان، وساق شجرة الإسلام، ولأجلها خُلِقَ الأنس والجنُّ، ولأجلها أنزل الكتاب والحديد، فالكتاب هادٍ إليها ودالٌ عليها، ومفصِّل لها، والحديد لمن خرج عنها وأشرك مع الله غيره فيها، ولأجلها خلقت الجنة والنار، فالجنة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب «غزوة ذات السلاسل»، رقم (٤٣٥٨)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٣٨٤) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

دار الذين أخلصوها لله وحده فأخلصهم لها، والنار دار مَنْ أشرك فيها مع الله غيره وسوَّى بينه وبين الله فيها، فالقيام بها علمًا واعتقادًا وعملًا وحالًا وتصحيحًا هو تصحيح شهادة أن لا إله إلَّا الله» هذا كلام عظيم يكتب بماء الذهب.

❍ قوله: **«وأما المحبة الخاصَّة»** وهي محبة العبادة **«التي لا تصلح إلَّا لله وحده، والتي إن أحب العبد بها غيره كان شركًا لا يغفره الله فهي محبة العبودية المستلزمة للذُّلِّ والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثار رضا المحبوب علىٰ رضا غيره»** وهي حقُّ الله.

فمحبة العبودية تستلزم الذُّلَّ لله، وإذا ذلَّ الإنسان وخضع لله زال عنه الكبر، بخلاف المشرك فإنه لا يذلُّ ولا يخضع لله فهو مستكبر، فإذا ذلَّ وخضع لله هانت عليه الطاعة فأدَّى العبادة، يذلُّ المصلي ويخضع لله، والذي لا يصلي مستكبر لا يخضع لله، ولو خضع له وذلَّ لصلى، والصائم كذلك يذلُّ ويخضع لله، والمزكي والذي يحج والذي يبر والديه عنده ذلٌّ وخضوع لله منقادٌ لشرعه.

والناس ثلاثة أقسام: مسلم، ومشرك، ومستكبر، **فالمسلم** هو المنقاد الخاضع لله، **والمشرك** الذي أشرك مع الله غيره، **والمستكبر** هو الذي تكبَّر عن عبادة الله فلم ينقد له ولم يعبده كبرًا.

ومحبة العبودية تستلزم الذُّلَّ والخضوع والتعظيم وكمال

الطاعة، إذا أمر المحبَّ ربُّهُ بالصلاة صلى، وإذا أمره بالزكاة زكَّى، وإذا نهاه عن الزنا والسرقة وشرب الخمر والربا انتهى، هذا هو المحبُّ المطيع، أما الذي يزعم أنه يحب ولا يطيع فهذه دعوة باطلة؛ كيف يزعم الحبَّ وهو لا يطيعه؟!.

لو كان حبك صادقًا لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

وكذا تستلزم المحبة إيثار رضا المحبوب علىٰ رضا غيره، يرضى الله تعالىٰ منك أن تتعامل معاملة شرعية ويرضى المخلوق منك أن تتعامل بالرِّبا، فأنت تؤثر رضا الله علىٰ رضا غيره، فمن تعامل بالرِّبا آثر رضا المخلوق علىٰ رضا الله، ومَنْ تعامل معاملة شرعية آثر رضا الله علىٰ رضا غيره «فهذه المحبة» يعني: محبة العبودية المستلزمة للذُّلِّ والخضوع والطاعة وإيثار رضا المحبوب علىٰ غيره «لا يجوز تعلقها بغير الله أصلًا».

«وهي التي سوَّى [المشركون] فيها بين آلهتهم وبين الله»

كما أخبر الله أنهم قالوا في النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٩٧-٩٨].

❍ قوله: «وهي أول دعوة الرُّسُلِ» فكلُّ نبي بعثه الله إلىٰ قومه كان أول ما يدعوهم إليه هو التوحيد، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعرَاف: ٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ﴾ [الأعرَاف: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾

[الأعراف: ٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥]، كلُّ رسول بعثه الله إلىٰ قومه كان أول ما يدعوهم إليه التوحيد، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

❍ قوله: «**وآخر كلام العبد المؤمن الذي إذا مات عليه دخل الجنة اعترافه وإقراره بهذه المحبة وإفراد الرَّبِّ بها**» عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١)، فالذي يقول عند موته «لا إله إلَّا الله» ويعترف ويقِرُّ بهذه المحبة وإفراد الرَّبِّ بها ويموت علىٰ ذلك يكون من أهل الجنة.

❍ قوله: «**فهي**» أي: «لا إله إلا الله» «**أول ما يدخل بها في الإسلام**» فمفتاح الإسلام الشهادتان، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لا يدخل أحد الإسلام حتىٰ يشهد

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب «في التلقين»، رقم (٣١١٦)، وأحمد (٥/ ٢٤٧). **قال الحاكم**: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ٥٠٣) **وقال ابن الملقن**: «هذا الحديث صحيح». «البدر المنير» (٥/ ١٨٩) **وقال ابن حجر**: «وأعلَّه **ابن القطان بصالح بن أبي عريب** وأنه لا يعرف، وتعقب بأنه روى عنه جماعة، وذكره **ابن حبان** في «الثقات». «التلخيص الحبير» (٢/ ١٠٣).

لله تعالىٰ بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرِّسالة، «**و**» هي «**آخر ما يخرج به المؤمن من الدنيا إلىٰ الله**» كما تقدَّم من قول النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

❍ قوله: «**وجميع الأعمال**» من الصلاة والصيام والزكاة وبرِّ الوالدين وصلة الأرحام «**كالأدوات والآلات لها**» فأصلها التوحيد، والأعمال حقوق هذا التوحيد، فالتوحيد أن تعبد الله مخلصًا له الدين، وحقوقه أن تؤدِّي الواجبات وتنتهي عن المحرَّمات.

❍ قوله: «**وجميع المقامات**» كمقام الرجاء والخوف والتَّوكُّل والعبادة والذُّلِّ والخضوع «**وسائل إليها**» أي: إلىٰ المحبة «**وأسباب لتحصيلها وتكميلها وتحصينها من الشوائب والعلل**» فمحبة الله هي أصل الدين، والأعمال حقوق وآلات وأدوات لها، والمقامات وسائل وأسباب لتحصيل هذه المحبة وتكميلها وتحصينها من الشوائب والعلل.

❍ قوله: «**فهي**» أي: محبة الله «**قطب رحى السعادة، وهي روح الإيمان، وساق شجرة الإسلام**» والشجر له أغصان، والأغصان هي الأعمال «**ولأجلها خُلِقَ الأنس والجنُّ**» كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذّاريات: ٥٦]، «**ولأجلها أنزل الكتاب والحديد**» كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ

وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، أنزل الله القرآنَ علىٰ نبيه ﷺ، وأنزل الحديد؛ والحديدَ المأخوذ من الجبال، «**فالكتاب هادٍ إليها**» فهو يهدي إلىٰ محبة الله وتوحيده، وكذا السنة «**ودالٌ عليها**» فالقرآن والسنة يهديان إليها ويدلان عليها «**ومفصِّل لها، والحديد لمن خرج عنها وأشرك مع الله غيره فيها**» فالمشرك يقتل، في «صحيح البخاري»(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»، وهذا إنما يكون مِنْ قبل ولاة الأمور، فالكتاب هاد إلىٰ توحيد الله والحديد عقوبة لمن خرج عن توحيد الله ومحبته وأشرك معه غيره.

❍ قوله: «**ولأجلها**» أي: لأجل التوحيد ولأجل العبادة التي أصلها محبة الله «**خلقت الجنة والنار**» فخلق الله الجنة لأهل محبته وتوحيده، وخلق النار لأهل الشِّرك أهلِ عداوته، «**فالجنة دار أهلها**» دار المتقين دار أهل المحبة «**الذين أخلصوها لله وحده فأخلصهم لها**» فمَنْ أخلص المحبة لله فهو مِنْ أهل الجنة، فإنهم لما اخلصوا التوحيد لله أخلصهم للجنة فخصَّهم بها جزاءً وفاقًا؛ فالجزاء من جنس العمل «**والنار دار مَنْ أشرك فيها مع الله غيره وسوَّى بينه وبين الله فيها**».

❍ قوله: «**فالقيام بها علمًا**» مَنْ قام بالعبادة والتوحيد

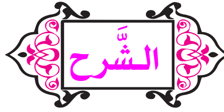
(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب «لا يعذب بعذاب الله»، رقم (٣٠١٧).

عن علم بأن هذه الكلمة مشتملة علىٰ نفي وإثبات، وأن النفي يقتضي نفي العبادة عن غير الله بجميع أنواعها، والإثبات إثبات العبادة لله بجميع أنواعها **«واعتقادًا»** بأن يعتقد أن الله هو المستحقُّ للعبادة دون غيره **«وعملًا»** بأن يوحِّد الله ويخلص له العبادة من صلاته وصومه وزكاته وحجه وبرِّهِ بوالديه وصلته للرحم **«وحالًا وتصحيحًا»** فيصحح هذه العبادة مِنْ شوائب الشِّرك **«هو تصحيح شهادة أن لا إله إلَّا الله»**.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فحقيقٌ بمن نصح نفسه وأحبَّهَا وأحبَّ سعادتها ونجاتها أن يتيقَّظَ لهذه المسألة أشد التَّيقُّظ، وتكون أهم الأشياء عنده، وأجلَّ علومه وأعماله؛ فإن الشأن كُلَّهُ فيها، والمدار كُلَّهُ عليها، والسؤال عنها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا مَنْ أتى الله بقلب سليم كلَّ السَّلامة مِنْ أي عِلَّةٍ ومرض من أمراض حبِّ غير الله وتقديم طاعته ومرضاته علىٰ طاعته سبحانه ومرضاته، قال تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]، قال غير واحد من السلف: «هو السؤال عن قول «لا إله إلَّا الله»»، وهذا حقٌّ؛ فإن السؤال كُلَّهُ عنها وعن أحكامها وحقوقها، قال أبو العالية: «كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون «ماذا كنتم تعبدون؟، وماذا أجبتم المرسلين؟»، فالسؤال عن «ماذا كانوا يعبدون» هو السؤال عنها نفسها، والسؤال عن «ماذا أجابوا المرسلين» هو السؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية إلىٰ تحقيقها، هل سلكوها وأجابوا الرُّسُلَ لما دعوهم إليها أم لا؟، فعاد الأمر كُلُّهُ إليها».



❍ قوله: «فحقيقٌ» أي: جدير «بمن نصح نفسه وأحبَّهَا وأحبَّ سعادتها ونجاتها أن يتيقَّظَ لهذه المسألة» وهي أن محبة الله وتوحيده وإخلاص الدين لله هو طريق السعادة والنجاة فيدعوه ذلك إلىٰ تحقيق التوحيد وإخلاصه لله والقيام بحقِّهِ سبحانه بامتثال أمره واجتناب نهيه، ويجاهد نفسه علىٰ الاستقامة علىٰ شرع الله ودينه، والإخلاص، والبعد عن الرِّياء والشِّرك، وتنقية التوحيد وتخليصه من شوائب الشِّرك «أشد التَّيقُّظ، وتكون أهم الأشياء عنده، وأجلَّ علومه وأعماله» فأجلُّ العلوم والأعمال هو أن تعلم الأمر الذي خلقك الله من أجله؛ «فإن الشأن كُلَّهُ فيها، والمدار كُلَّهُ عليها، والسؤال عنها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا مَنْ أتى الله بقلب سليم كلَّ السَّلامة مِنْ أي عِلَّةٍ ومرض من أمراض حبِّ غير الله وتقديم طاعته ومرضاته علىٰ طاعته سبحانه ومرضاته» كما قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٨-٨٩]، لا تنفع الأموال والبنون يوم القيامة.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ سليم مِنَ الشِّرك وسليم من الشبهات والشهوات خالصًا لله، فإن القلب إذا كان فيه شرك يكون ميتًا، وإذا كان فيه شبهات أو شهوات يكون مريضًا، فإذا سَلِمَ من الشِّرك والشهوات والشبهات نجى

يوم القيامة.

ومن المرض: تقديم طاعة غير الله علىٰ طاعة الله، وتقديم مرضاة غير الله علىٰ مرضاته ﷻ.

❍ قوله: «**قال تعالىٰ**: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾»

هذا قسم من الله ﷻ، قسم بأن الخلق سوف يُسألون أجمعين «﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ [الحِجر: ٩٢- ٩٣]» يُسأل كلُّ واحد عن عمله، هل دخله الشرك؟ هل دخلته البدع؟، هل كان لله خالصًا له أم جعلت لله معه شريكًا؟، «**قال غير واحد من السلف: «هو السؤال عن قول «لا إله إلَّا الله»»**»[1] ففسَّروا العمل بقول كلمة التوحيد.

❍ قوله: «**وهذا حقٌّ؛ فإن السؤال كُلَّهُ عنها وعن**

(١) **منهم**: **ابن عمر** رضي الله عنهما كما عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١١٩).
ومنهم: **أنس بن مالك** رضي الله عنه كما عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٣٣).
وأخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة الحجر»، رقم (٣١٢٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.
قال الترمذي: «هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث **ليث بن أبي سليم**، وقد روى عبد الله بن إدريس عن ليث بن أبي سليم عن بشر عن أنس نحوه ولم يرفعه».
قال الدار قطني: «ليث غير قوي، ورفعه غير صحيح». «العلل» (١٢/ ٢١).
وقال ابن حجر: «وفي إسناده ضعف». «فتح الباري» (١/ ٧٨).

أحكامها وحقوقها» يُسأل العبد عن كلمة التوحيد «لا إله إلَّا الله» هل أخلصها لله أم أشرك مع الله غيره؟، هل حقَّقَ الذُّلَّ والخضوع لله؟، ويُسأل عن أحكامها وحقوقها من الواجبات كالصلاة والزكاة والصيام والحج وبرِّ الوالدين وصِلة الأرحام وعن ترك المناهي المحرَّمات كالزِّنا والسرقة وشرب الخمر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم والتعامل بالرِّبا والعدوان علىٰ الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

❍ قوله: **«قال أبو العالية: «كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون «ماذا كنتم تعبدون؟»»** هل تعبدون الله أم تعبدون غيره؟، **««وماذا أجبتم المرسلين؟»»**[١] الذين أرسلهم الله، هل اتبعتهم؟، هل امتثلت أوامرهم؟، هل انتهيت عن نواهيهم؟

❍ قوله: **«فالسؤال عن «ماذا كانوا يعبدون» هو السؤال عنها نفسها»** السؤال «ماذا كانوا يعبدون؟» هو السؤال عن كلمة التوحيد نفسها، عن محبة الله، فالذي يعبد الله هو المؤمن، والذي يعبد غيره مشرك، **«والسؤال عن «ماذا أجابوا المرسلين» هو السؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية إلىٰ تحقيقها»**؛ لأن المرسلين أرسلهم الله ليُعرِّفُوا الناس الأمر الذي خُلِقُوا لأجله

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١٠٥)، و«مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٣٤١).

وما يحبه الله ليفعلوه وما يكرهه ليتركوه، فالرُّسُل وسيلة بين الله وخلقه، فالسؤال عن «ماذا أجبتم المرسلين؟» هو سؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية إلىٰ تحقيقها **«هل سلكوها وأجابوا الرُّسُلَ لما دعوهم إليها أم لا؟، فعاد الأمر كُلُّهُ إليها»** عاد الأمر إلىٰ كلمة التوحيد؛ لأن السؤال عن «ماذا أجابوا المرسلين» سؤال عن الوسيلة المؤدية إليها.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وأمرٌ هذا شأنه حقيقٌ بأن تثنى عليه الخناصر، ويُعضَّ عليه بالنواجذ، ويُقبضَ فيه علىٰ الجمر، ولا يؤخذ بأطراف الأنامل، ولا يطلب علىٰ [فضلة][1]، بل يُجعلُ هو المطلب الأعظم، وما سواه إنما يطلب علىٰ الفضلة.

والله المسؤول أن يَمُنَّ علينا بتحقيق ذلك علمًا واعتقادًا وعملًا وحالًا، ونعوذ بالله أن يكون حظنا من ذلك مجرد حكايته.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك علىٰ عبده ورسوله وصفوته من خلقه وأمينه علىٰ وحيه محمد النبي الأمي وعلىٰ آله الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، واجعلنا منهم بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين».



❍ قوله: «**وأمرٌ هذا شأنه**» فهذا الأمر الذي هذا شأنه، والذي من أجله خلق الله الخلق، ومن أجله خلق الله الجنة

(١) في الأصل: فضله.

والنار، ومن أجله انقسم الناس إلىٰ شقي وسعيد، أمر عظيم ليس سهلًا فينبغي للإنسان أن تكون عنايته هذا الأمر ولا يتساهل فيه «**حقيقٌ بأن تثنى عليه الخناصر**» هذا مَثَلٌ، يقال: «الأمر الذي تثنى عليه الخناصر» يعني: الأمر العظيم الذي لا أعظم منه، والخناصر جمع خنصر، وهو الأصبع الصغرى. يقال: (فلان تثّنى به الخناصر) أي: يُبدأ به إذا ذكر أمثاله.

❍ قوله: «**ويعضَّ عليه بالنواجذ**» وهي الأسنان التي تلي الأضراس «**ويقبض فيه علىٰ الجمر**» لأهميته «**ولا يؤخذ بأطراف الأنامل، ولا يطلب علىٰ [فضلة]**» يعني: لا يطلبه الإنسان في وقت فراغه ويجعله أمرًا ثانويًا، «**بل يجعل هو المطلب الأعظم**» والأعلىٰ «**وما سواه**» أي: ما سوى هذا الأمر «**إنما يطلب علىٰ الفضلة**» وعلىٰ تراخي.

ثم ختم **المؤلف** ﷫ الرِّسالة بالدعاء فقال:

«**والله المسؤول أن يَمُنَّ علينا بتحقيق ذلك**» يعني: بتحقيق التوحيد «**علمًا**» بأن نعلم حقَّ الله، وأنه هو المستحقُّ للعبادة وغيره لا يستحقها، وأن نعلم أن كلمة التوحيد تشمل علىٰ نفي العبادة عن غير الله «**واعتقادًا**» بأن نعتقد أن الله هو المستحقُّ للعبادة دون سواه «**وعملًا**» بأن نؤدِّي الواجبات ونترك المحرَّمات «**وحالًا**».

❍ قوله: «**ونعوذ بالله أن يكون حظنا من ذلك مجرد حكايته**» يستعيذ ﷫ بالله أن يكون حظنا مجرد القول بغير

عمل، فلا بُدَّ من القول والعمل، ولا يكفي كون الإنسان يُقِرُّ بالتوحيد ولا يعمل، بل لا بُدَّ من العلم والقول والعمل.

❍ قوله: «وصلَّى الله» أصح ما قيل في تعريف صلاة الله علىٰ عبده(١): ما ذكره البخاري في «صحيحه»(٢) قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: «صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: الدُّعَاءُ»، فأنت تسأل الله تعالىٰ أن يُثنِي علىٰ عبده في الملإ الأعلىٰ.

❍ قوله: «وسلَّم» يعني: سلمه من الشُّرور في الدنيا والآخرة، وهذا دليل علىٰ أن النبي ﷺ بشر؛ لأنه يُدعىٰ له وتُطلب له السَّلامة، ولو كان إلهًا ما طُلب له ذلك، فلما دُعِيَ له دلَّ علىٰ أنه مخلوق وإن كان هو أفضل الناس عليه الصَّلاة والسَّلام، فهو بشر لا يعبد، وإنما المعبود هو الله، ولذلك يصلى عليه فيطلب من الله أن يثني عليه ويسلِّمَهُ.

❍ قوله: «وبارك» يدعو له بالبركة «علىٰ عبده ورسوله» فهو عبد الله ورسوله وليس إلهًا، ولكنه عبد حقَّق العبودية لله ورسول أرسله الله بالرِّسالة «وصفوته من خلقه» فاصطفاه الله

---

(١) انظر: «فتح الباري» (١١/١٥٦).
(٢) ذكره البخاري في «صحيحه» (٤/١٨٠٢) مُعلَّقًا بصيغة الجزم.
ووصله القاضي أبو إسحاق في «فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ» رقم (٩٥).

«وأمينه علىٰ وحيه» فهو الأمين عليه الصَّلاة والسَّلام، فهو مؤتمن علىٰ الوحي لا يكتم منه شيئًا ولا ينقص منه ولا يزيد **«محمد النبي»** الذي نبَّأه الله تعالىٰ **«الأمي»** نسب إلىٰ أمه، فهو لا يقرأ ولا يكتب، ولكن الله تعالىٰ شرَّفه بالرِّسالة، فمن كماله عليه الصَّلاة والسَّلام أنه نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب بل جاء بهذه الرِّسالة العالمية التي تحدَّى بها البشر أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعشر سور مثله أو بسورة فعجزوا، فدلَّ علىٰ أنه رسول الله حقًا.

❍ قوله: **«وعلىٰ آله»** **قيل**: آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصَّة، **وقيل**: هم أمته وأتباعه إلىٰ يوم القيامة، وهذا عامٌّ ويدخل فيه دخولًا أوليًّا أزواجه وذريته وأقاربه المؤمنون(١) «الذين آمنوا به وعزَّروه» يعني: قدَّروه واحترموه **«ونصروه»** فنصروا دينه وسنته **«واتبعوا النور الذي أنزل معه»** وهو القرآن والسنة **«واجعلنا منهم بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين»**.

وهذه رسالة قيمة عظيمة علىٰ صغر حجمها كما سمَّاها **المؤلف** رَحِمَهُ اللهُ «نواة الإيمان»، فنسأل الله أن يغفر له ويرحمه، ويجمعنا وإياه في دار كرامته؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.



---

(١) انظر: «جلاء الأفهام» لابن القيم (ص ٢١٠، ٢١١).

فهرس الموضوعات